

**الوطن والغربة في ثنائية اثير عبد الله النشمي
دراسة سيميائية**

م.م. هوازن عبد الوهاب محمود

جامعة بغداد - كلية التربية للبنات

**Homeland and alienation in the dualism of Atheer
Abdullah Al-Nashmi, a semiotic study**

HAWAZEN ABDUL WAHHAB MAHMOOD

Hawazen.a@coeduw.uobaghdad.edu.iq

تناول هذا البحث دراسة ثيمة الوطن والغربة في ثنائية اثر عبد الله النشمي ودراسة هذه الثيمة سيميائيا عبر المربع السيميائي وما ينتج من بنية عميقة تتمثل في علاقات التناقض والتضاد وعبر الانموذج العالمي وما يتناوله من محور الرغبة ومحور الصراع ومحور التواصل ، فالمكان هو واحد لدى الجميع بما فيه من الماديات أما الامور المعنوية والعاطفية فتختلف باختلاف الشخصية لذلك نرى ان المكان ذاته يكون مألوفاً ومحبباً لدى شخصية ومعاديا عند شخصية اخرى وذلك بحسب الظروف وما للمكان من دلالات سلبية او ايجابية في نفس الشخصية وبطبيعة الحال فإن للمكان سلطة لا تضاهيها سلطة اخرى فهو يفرض حضوره ومعايير على كل من ينتسب اليه .وقد انمازت هذه الثنائية بسطوة المكان فنلاحظ ان للمكان اثر بارز في تغيير مجرى الاحداث في الرواية وذلك عبر المعايير والقيم التي يفرضها المكان على الاشخاص فالمكان المحافظ على سبيل المثال لديه من القيم والعادات والتقاليد التي يفرضها على ساكنيه وتتوارث من الالباء الى الابناء ولها قدسية اجتماعية يصعب تجاوزها .الكلمات الافتتاحية الوطن ، الغربة ، سيميائي ، المكان ، الرواية .

abstract

This research deals with the study of the theme of homeland and alienation in the dualism of Atheer Abdullah Al-Nashmi and the study of this theme semiotically through the semiotic square and what it produces of a deep structure represented in the relations of contradiction and opposition and through the global model and what it deals with from the axis of desire, the axis of conflict and the axis of communication The place is the same for everyone, including material things. As for the moral and emotional matters, they differ according to the personality. Therefore, we see that the same place is familiar and beloved to one character and hostile to another, depending on the circumstances and the negative or positive connotations of the place in the same personality. Of course, the place has an unparalleled power. Another authority, as he imposes his presence and standards on everyone affiliated with him The place is the same for everyone, including material things. As for the moral and emotional matters, they differ according to the personality. Therefore, we see that the same place is familiar and beloved to one character and hostile to another, depending on the circumstances and the negative or positive connotations of the place in the same personality. Of course, the place has an unparalleled power. Another authority, as he imposes his presence and standards on everyone affiliated with him opening words homeland – Alienation – semiotic – Place - a novel

مقدمة :

اثير عبد الله النشمي روائية سعودية تحاول ان ترصد معاناة المرأة السعودية وما تواجهه من ضغوطات وعنف اسري ومجتمعي في وطنها وتوظفه في اغلب رواياتها ، فالقارئ لرواياتها يعرف ما تمر به المرأة على ارض الوطن من ظلم واضطهاد .وفي روايتي احببتك اكثر مما ينبغي ، و فلتغفري التي سنتناولها بالدراسة والتحليل نلاحظ أن الروائيتين تتناول الاماكن نفسها وبالرغم من أن الوطن هو نفسه بما فيه من مساوئ ومزايا ، والغربة ايضا هي نفسها بعيوبها وميزاتها الا ان النظرة لهذا المكان تختلف باختلاف الشخصيات ، فنلاحظ حب جمانة لوطنها على الرغم من القيود والعادات والتقاليد التي تُضيق الحياة على الشخصية خاصة المرأة إلا انها تحب ذلك الوطن بكل قسوته وهي تشبهه بالأب الذي مهما قسى على ابنائه يبقى قلبه يرف خوفًا وحنينًا اليهم ، فهي ترى من وجهة نظرها ان الوطن مكان مألوف ، والغربة بما فيها من مزايا تراها خانقة لها ومكانا معاديا للشخصية لكونها لم تأتلف معه وهذا بخلاف شخصية عبد العزيز الذي يرى ان الوطن مكان للموت والجمود إذ إنه يشعر بالاختناق حين يزوره ، فالوطن بالنسبة لعبد العزيز يشكل مكانا معاديا للشخصية لا يرغب سوى أن يدفن فيه وهذا راجع الى نظرتة عن الوطن فهو يراه مكان للجمود واللاحياة و لهذا يجده انسب مكان لأن يدفن فيه حين موته لأنه مكان للموت لا للحياة فهو يعد الوطن مقبرة تصلح لدفن الموتى فقط ولا تصلح للأحياء ، أما الغربة فهي مكان مألوف يرى فيها متنفسا لحرته وكسرا لكل القيود التي عاشها في وطنه ، فالغربة هي وطنه وأمنه .وقد تناول هذا البحث دراسة ثيمة الغربة والوطن سيميائيا عبر ما تولده هاتين الثنائيتين من معان عبر المربع السيميائي و الانموذج العالمي وعبر الدلالات المصاحبة للغربة والوطن في الرواية وملاحظة وصف الاماكن الخاصة بالوطن أو الغربة والشعور الناتج عنها ، فهذا كله يعطينا تصور بحب او كره ذلك الوطن ، فالشعور تجاه الاماكن يختلف ليس باختلاف المكان فقط بل باختلاف الشخصيات وطريقة تعاملها مع الاشياء واختلاف المواقف الناتجة عن هذا المكان او المختلطة به

الوطن : لغة : " المنزل تقيم به ، وهو موطن الانسان ومحل " (١) ، والجمع : اوطان .

اصطلاحا : هو الانتماء الى تلك البقعة من العالم التي ولد فيها او تلك التي استقر بها (٢) ويبدو ان هنالك نوع من العلاقة بين المعنى لغة واصطلاحا إذ إن معنى وطن كان المنزل الذي يقيم به الانسان وما يصاحب هذا المعنى من دلالة الحب والالفة و الامان والراحة والهدهد

فجميعها تكون مرادفة ومصاحبة لهذه الكلمة ثم تطورت المفردة دلاليا لتصبح على ما هي عليه الان حيث ان الوطن هو البيت الكبير الذي يضم كل افراد المجتمع ويربط فيما بينهم برابط الاخوة وان المفردات المصاحبة له هي كذلك الحب ، الالفة ، الامان ، الاعتزاز فهو وان تطورت دلالاته الا انها ببقية في الحيز ذاته أي انها فقط اتسعت لتشمل جميع البيوت في بيت واحد كبير .

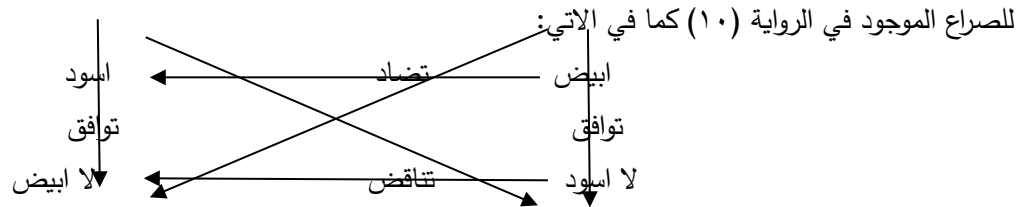
الغربة : لغة :الذهاب والتتحي عن الناس ويقال دارهم غربة أي : نائية (٣)

الغربة اصطلاحا :هي حالة وجدانية تتمكن من الانسان وتصيبه بالقلق والكآبة نتيجة البعد عن وطنه (٤)، ولا بد من الاشارة الى انه هناك ترابط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي فكلاهما بعد سواء عن الوطن او الاحبة وكلاهما يودي بصاحبه الى الحزن حيث أن البعد عن الناس يحزن الانسان وما سمي الانسان انسانا الا لكونه يأنس بغيره أي أن وجود الناس في حياته مهم فهو كائن اجتماعي لا يمكنه العيش بعيدا عن الناس كلها وكذلك البعد عن الوطن يضاف الى البعد عن الاهل و الاحبة فيكون الشعور أكثر عمقا وتكون الشخصية أكثر تحسنا للاشياء والمواقف البسيطة التي يمر بها الآخرون مرور الكرام فنلاحظ أن المتغرب عن وطنه يقف عند أبسط الامور ولا يكاد يبرح مكانه ، ففي الغربة أيضا فقدان للسند والقوة وغير هذا كثير إذ إن لا أحد يشاركنا أفراحنا وأحزاننا.

المنهج السيميائي : هو منهج نقدي يقوم على تحليل النصوص وفق الاشارة والعلامات النصية الموجودة في النص والتي تعطي دلالات محددة(٥) ، وإن " السيميائيات في معناها الأكثر بداهة ليست شيئا آخر سوى تساؤلات حول المعنى . انها دراسة للسلوك الانساني باعتباره حالة ثقافية منتجة للمعاني . ففي غياب قصدية - صريحة أو ضمنية - لا يمكن لهذا السلوك أن يكون دالا ، اي مدركا باعتباره يحيل على معنى " (٦) وتهتم السيميائيات بالفعل الانساني عامة وتدرس مظاهر السلوك الانساني بدء من الانفعالات الانسانية البسيطة وانتهاء بالايديولوجيات الكبرى (٧) ، ولا بد من الاشارة الى أن السيميائية تقف وسطا بين المناهج البنيوية والسياقية فهي بنيوية في رصدها للعلاقات النصية وسياقية في بحثها عن سياق العلامة ودلالاتها (٨) .

المربع السيميائي :

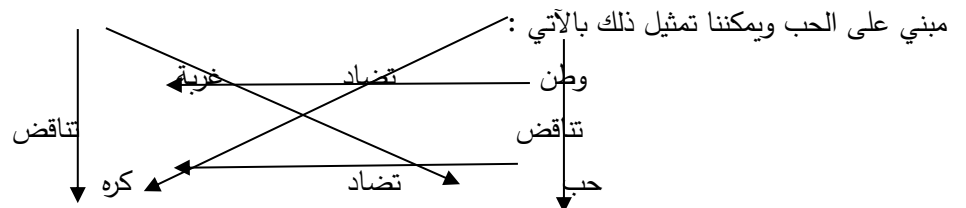
هي بنية مربعة الاطراف اعتمدها غريماس للتعبير عن التمثيل المرئي للدلالة وتنتج عن هذه البنية علاقات التضاد والتناقض (٩) ويعد المربع السيميائي اهم عنصر يدرس المنهج السيميائي في البنية العميقة إذ هو المتحكم فيها عن طريق تحديد علاقات التناقض والتضاد المولدة



فالعلاقة بين ابيض واسود قائمة على التضاد في حين ان العلاقة بين ابيض ولا ابيض او بين اسود ولا اسود قائمة على التناقض ويمكن تمثيل هذه الصورة وتطبيقها على ثنائية اثر عبد الله المتمثلة بـ (الوطن والغربة) بالاتي :

- الشخصية في ارض الوطن بلا حب اذ ان الحب محرم اجتماعيا .
- ان الشخصية في الغربة تكسب الحب وتعيش هذه العلاقة .
- عند عودة الشخصية الى ارض الوطن تخسر هذا الحب بسبب العوائق الاجتماعية .

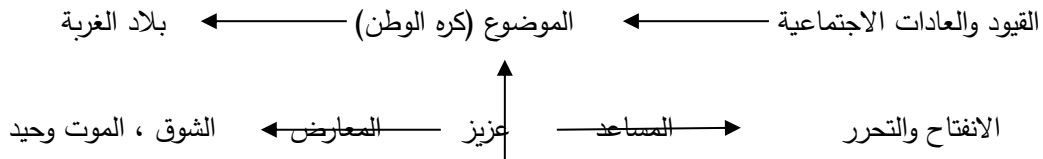
اذن كان الوطن في هاتين الروايتين عدو للحب ومعارض للشخصيات التي تبدي حبها اما الغربة فقد احتضنت المحبين ، فالشخصية عندما تريح الوطن تخسر الحب وعندما تريح الحب تخسر وطنها لأنها تبتعد عنه وتتغرب وتحسر اهلها لانهم لا يوافقون على زواج



فالشخصية من حقها أن تعيش الحب على أرض الوطن لا أن تخير ضمنا بين وطنها وحبها ، فهنا يتكون صراع داخل الشخصية بين رغبتها في وجود الاثنين والواقع الذي يفرض عليها اختيار احدهم .

الانموذج العاملي

ينبني النموذج العاملي على ثلاثة محاور بسطها غريماس وهذه المحاور هي : محور الرغبة الذي يتضمن عاملين هما الذات والموضوع ومحور الصراع الذي يتضمن عاملين ايضا هما المساعد والمعارض ، ومحور التواصل الذي يتضمن عاملين هما : المرسل والمرسل اليه (١١) والتي يمكن توضيحها بالمخطط الاتي :



فالثيمة الاساسية في شخصية عبد العزيز - الموضوع - هي كره الوطن وما يقابلها من حبه للغربة ، وكثيرا ما نجده يصرح بهذه الفكرة في الرواية إذ يقول : " لا اعرف كيف اكتب عن وطن لا احبه وتأريخ لا يغريني " (١٢) ف (كيف) هنا خرجت من معنى الاستفهام الذي يراد به جواب أو معرفة شيء مجهول الى معنى الاستنكار فهو يستنكر من حاله كيف بإمكانه أن يكتب عن مكان لا تربطه اي علاقة به وليس هنالك أي دافعية للكتابة ، وقوله " اعترف بأنني لست بقادر على ان احب ذلك الوطن الذي بات بعيدا جدا ليس بعيدا بالمسافة فقط بل عن قلبي ايضا " (١٣) ففي قوله " انني لست بقادر على ... استعمل توكيدين بوساطة " انني " حرف المشبه بالفعل والباء الزائدة للتوكيد في " بقادر " المزادة في خبر ليس وأداة النفي " لست " كلها ليؤكد للمتلقي أنه ليس بإمكانه ان يحب بلده وكان المتلقي أمامه منكر لهذا الفعل او لديه رأي آخر فأكد له باكثر من مؤكد ليعطي دلالة سيميائية على كرهه لذلك الوطن فالمكان الذي لا توجد لدينا مشاعر تجاهه سلبية كانت أم ايجابية بإمكاننا ان نحبه يوما لكن المكان الذي تربطنا به مشاعر سلبية من الكره والقيود والحرمان وان هذه المشاعر تزداد يوما بعد الآخر لا يمكننا ان نحبه والتأكيد الآخر هو تصريحه بأنه بات ذلك المكان بعيدا عن القلب والعين ، وفي مرات اخرى يلمح بكره الوطن كما في قوله لجمانة باللغة الانكليزية " أتفتقدين وطنا يجمعك " (١٤) ، فكان سؤاله بالانكليزية معبرا عن حاله إذ إنه تخلى عن وطنه وكذلك عن لغته فبالرغم من تيقنه من ان التي يخاطبها عربية حيث تضع الشماع على رقبته اضافة الى ملامحها العربية نراه يسخر منها ومن الوطن فسؤاله لها تهكم أي كيف تفتقدين وتتشوقين الى وطن يجمع حرية مواطنيه ، إذ نلاحظ أن الاستفهام هنا خرج الى معان اخرى كالاستهزاء والتهكم والتعجب إذ إن الذي يجمع حريتنا يجب ان ننفر منه لا أن نشاق له . ثم ان سؤاله لها بالانكليزية دال على تخلي هذا الرجل حتى من لغته فكان ظاهر النص موافق تماما لمضمون كلامه ولما يريد ايصاله لجمانة . أما المعارض لهذه الفكرة (كره الوطن) فهو الشوق والحنين لعائلته ووالدته والوحدة والخوف من الموت وحيدا في بلاد الغربية كما في قوله " بدأت نوبات الهلع المرضية تتتابني في سنتي الثانية هنا ... الا ان الخوف من الموت وحيدا كان ينتابني بين الحين و الاخر و لا يزال يفعل في بعض اوقات حزني ويأسي " (١٥) ، فالخوف طاقة سلبية تؤدي بصاحبها الى الحزن والقلق والتوتر وتضع بينه واحلامه حاجز صعب ان يتخطاه . وقوله " فكرت كثيرا فيما لو زارني الموت فجأة في غربتي ، كم سأمكث ميتا قبل ان يكتشف موتي احد ، وكم سيبقى جسدي عالقا هنا قبل ان تنهي السفارة اجراءات نقلي الى الرياض " (١٦) فالصورة الاكثر توترا هو خوفه من الموت وحيدا أي أنه يفكر بحال نفسه ليس في الحياة فقط بل في الممات ايضا وهذا بدوره يضع الشخصية امام ضغط نفسي كبير أي أن في الغربية يكون الشخص بمفرده مسؤول عن الحفاظ على نفسه حيا او ميتا وهذا خلاف ما يحدث في ارض الوطن إذ إن في غالب الاحيان يكون الشخص مكتضا بالأهل و الاحبة و الاصدقاء وكان في استعمال الاستعارة المكنية بقوله " زارني الموت فجأة " قصدية تامة و اشارة سيميائية الى أنه يفقد الضيوف في بيته ، فقد شبه الموت بالإنسان وحذف الانسان ثم أبقى شيء من لوازمه وهو (الزيارة) إذ إن الزيارة تكون للضيوف لا للموت الا انه وبسبب غربته وقلة زائريه وربما كان الموت زائر الوحيد ، فبسبب غربته وربما رغبته في زيارة الاحبة او الاهل اليه استعار هذه المفردة (الزيارة) لزائره الوحيد على مر سني الغربية ففي الغربية لا احد يطرق الباب لذلك قال " كم سأمكث ميتا قبل أن يكتشف احد موتي " إذ إن لا احد يزوره أو يسأل عنه . أما الشوق والحنين فقد كانت نسبتة ضئيلة فنلاحظه يصرح بالنسيان كما في قوله حين سألته جمانة عما يتذكره وما يحتفظ به في ذاكرته قال " نسيت كل شيء كنت احمله لها في مطارها الدولي " (١٧) ، فهنا تعطي اشارة سيميائية بأنه لا تربطه بها _ اي الرياض _ أي علاقة لا من قريب ولا من بعيد (وكل شيء) تعطي دلالة انه نسي حلوها ومرها وعاد بلا ذكريات ، فعادة الذكريات هي التي تشن موجة الحنين في قلوبنا وتبعث المشاعر من جديد (فنسي كل شيء) أي انه رجل بلا ذكريات ، بلا ماض ، بلا حزن ، بلا شوق أو حنين ، أي لا شيء يربطه بهذه المدينة منذ ان غادرها ، ولا بد من الاشارة الى أن جميع الافعال في الجملة كانت ماضية ودلت على حدث وقع في الماضي وانتهى وعلى تأكيد هذا الشيء وثبوته وكان في استعمال ضمير الهاء في قوله (لها) وفي (مطارها) اعطت دلالة الغيبة فهي اشارة سيميائية لبعدها من قلبه وعلى غيبتها و انها

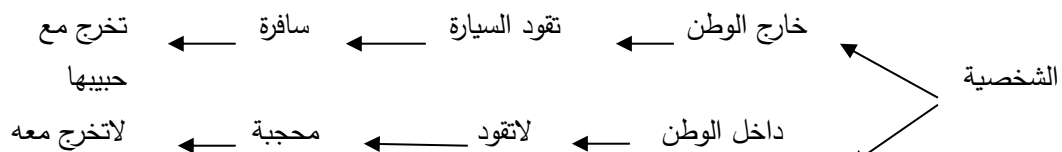
بعيدة عن عينه أيضا . ونلاحظ كذلك سخريته من الاعياد في بلده وهذا ان دل على شيء يدل على عدم اشتياقه للبلد حيث اجاب على سؤال جمانه عندما سألته ما لذي يفعل اهناك هناك قال : " يأكلون اللحم " (١٨) فهنا اشارة سيميائية الى سخرية الاعياد وبأن اعيادهم لاشيء فيها جميل وإن متعتهم هي في الاكل فقط أي أن لاشيء ممتع في هذه المدينة. أما الحافز الاساسي لكره الوطن هو القيود والعادات والتقاليد وبأن الرياض ارض للجمود والموت وليست ارض للحياة ووصف الرياض بالقساوة و بأنها كالألم التعيسة التي تورث التعاسة لأولادها كما في قول عزيز واصفا الرياض " هذه المدينة ام تعيسة تثبت التعاسة في قلوب ابنائها رغما عنها ومن دون ان تقصد وهي امراة عليلة بالكآبة اعدت اهلها ونقلت لهم فايروسها الكئيب ليقضوا حياتهم فيها بأرواح مهالكة و احلام تقليدية " (١٩) فقد كان في تشبيه المدينة بالألم قصدية كبيرة اذ ان المدينة تحتضننا كما تحتضن الام ابناءها ، والام هي مصدر الطاقة في البيت فإذا كانت سعيدة بثت السعادة في ارجاء البيت واذا كانت تعيسة نشرت التعاسة فيه ، فهي المصدر الاول و الاخير لأبنائها وتشبيه هذه المدينة بالألم التعيسة لتوضيح الصورة التي تعيشها الشخصية داخل هذه المدينة والمعاناة التي تعانيها وهذه اشارة سيميائية الى انه يوعز تعاسته و احباطه الى هذه المدينة التي لا تورث ابناءها سوى الحزن والكآبة ، وقوله " الرياض التي تليق بالموت وحشمة الموت " (٢٠) ، فهذه الجملة تعطي اشارة سيميائية الى سوداوية الرياض ورتابتها فهو قد قرن الرياض بالسوداوية بوصفها بالموت اي أن كل ما عليها عبارة عن جمود وذلك بسبب العادات والتقاليد التي تحكمها فتنتزع منها الحياة والتجدد وان كل شيء فيها ثابت وغير قابل للتغيير فأنت حين تغادر الرياض وتعود اليها بعد عام او اكثر كأنك غادرتها اليوم لاشيء فيها يتغير ، فهي ارض تليق بالموت والحزن اكثر مما تليق بالحياة والفرح ، إذ كان يشعر فيها بالاختناق كما في قوله " اشعر بان حبلا من خيش يحبط بعنقي ، يضيق علي الخناق كلما قضيت يوما فيها " (٢١) ، وقوله " اشعر بالاختناق ... بوذي لو اخذتكَ الان وعدنا ... تخنقني هذه المدينة يا جمان ! " (٢٢) ، فهنا الغربة تكون مكان لتنفس الحرية ، مكان للحياة بخلاف الوطن الذي كاد ان يخنقه ، وعلى لسان جمانه حين تقول " تخنقك الرياض يا عزيز ، تخنقك الرياض ومن فيها " (٢٣) ، فالاختناق هو صعوبة مرور الهواء أي أن فيها اشارة سيميائية الى أن الرياض تمنعه من الحياة وتعيق حريته أي أن الذي في الرياض يموت تدريجيا ، يموت خنقا والخنق هنا يكون بسبب العادات والتقاليد التي تعيق الفرح والحب . أما المساعد لفكرة كره الوطن هو ما وجده من الانفتاح والحرية والتحرر من كل القيود في بلاد الغرب كما في قوله " في الغربة نرتفع كثيرا بفعل الحرية و الانعتاق من كل القيود التي تربطنا بالمجتمع والعائلة والوطن " (٢٤) ففي كلمة (نرتفع) اشارة سيميائية الى التحرر والانطلاق نحو الحياة والتجدد والانجاز وقوله (نرتفع كثيرا) أي أن هنالك فرق كبير وواضح بين أن نكون في ارض الوطن وأن نكون في الغربة وأن الارتقاء يعطي دلالة سيميائية الى الارتقاء نحو الافضل فلا قيود تقيد ولا عراقيل تعرقل حركته او تقف حجر عثرة في طريقه اي ان طريقه سيكون سالك ومعبد دون اي مشاكل تذكر ، وقوله " كانت فرصة اكمال تعليمي ... تعني ان اتحرر من كل قيوده التي لطالما كبلت عنقي قبل معصمي وقدمي " (٢٥) ، فهي تعني ان هذه القيود لم تمنعني من الحركة فحسب بل انها منعتني من الحياة ايضا أي أنه لا يستطع الحركة والتجدد والارتقاء ولا يستطع الحياة إذ إن الحياة لا يناسبها الجمود ، بل يناسبها الحركة والتغيير والتجدد وهذا كله غير متاح بسبب القيود الاجتماعية .

الشوق ← الموضوع (حب الوطن) ← الوطن

الاهل ، اللغة ← المساعد ← جمانة ← المعارض ← القيود والعادات الاجتماعية

اما جمانة فان الثيمة الاساسية والهدف الرئيس الذي تود الحفاظ عليه والدفاع عنه هو حبها للوطن وكرهها للغربة ، وقد جاء حبها للوطن بعبارات صريحة على لسان عزيز بقوله " لكنك تحبينه ببساطة وسذاجة وتسامح لا يفهم " (٢٦) ففي هذه الجملة اشارة سيميائية على تعجب عبد العزيز من حب جمانة لوطنها وفي كلمة (سذاجة) اشارة سيميائية الى ان حبها لم ينبن على ذكاء او فطنة او حكمة إذ إنه لو كان لها ذكاء - من وجهة نظره - لما احبت هذا الوطن الذي يبعدها عن الحياة وعن بهجتها ولا بد من الاشارة الى ان في كلمة تسامح التي تعني قبول العذر أي أن المقابل اخطأ في حقنا وهذا يعود على الوطن أي أن الوطن قد ظلمهم و اخطأ في حقهم لكنها تسامحه وقرن التسامح بعبارة (لا يفهم) للدلالة على أن ما قام به من أذى لا يغتفر فهو لا يفهم تصرفها تجاهه بالتسامح إذ كيف تسامح من أسرف في ظلمها واذيتها ومنع سبل الحياة عنها ، وسؤاله لها " كيف تحبينه !؟ " (٢٧) ، فقد خرجت (كيف) من معنى الاستفهام الى معنى التعجب فهو يتعجب من حالها كيف لها ان تحب وطنا يخنق حريتها ويقيدها ففي كيف اشارة سيميائية الى ان عبد العزيز لا يحب وطنه ويتعجب من اي شخص لديه طاقة الحب تجاه وطنه مصطحبا السؤال بعلامة استفهام وعلامة تعجب لدلالة على حالة الاستغراب ، فكيف

باستطاعة هذه الفتاة ان تحب بلدا يكبلها بكل هذه القيود ، فمن شدة حبها للرياض اصبحت ترى الرياض ودية اللون بخلاف عزيز الذي يراها رمادية اللون كما في قوله " الا تزال رياضك رمادية ؟ قلت لك بعناد : بل ودية " (٢٨) ففي اللون الوردي اشارة سيميائية الى بهجة الحياة وزهوها وهذا بخلاف اللون الرمادي الذي يعطي اشارة سيميائية الى الحياة الباهته والحيادية وبأن هذه الحياة لا شيء فيها يثير البهجة والحياة وفي اضافة الضمير (ك) الى كلمة رياضك اشارة سيميائية الى ان مدينة الرياض لا تعنيه ولا ينتمي لها فهي خاصة بـ (جمانة) ولذلك نرى جمانة تدافع عنها بعناد وكأن الامر يعينها وحدها وملزمة بالدفاع عنها امام شخص يحاول بين الفينة و الاخرى ان ينتقص من مدينتها ، فهي تصرح بحب الرياض دائما كما في قولها " احب تلك المدينة يا عزيز " (٢٩) فقد كان في استعمال الفعل المضارع (احب) قصدية تامة إذ إن الفعل المضارع يعطي دلالة الاستمرار والتجدد أي أن حبها لوطنها مستمر ويتجدد كل حين ، أما في استعمال تلك فقصدية اخرى إذ إن (تلك) اسم اشارة للقريب أي أن هذه المدينة قريبة منها ، وقولها " ادرك جيدا بأن الرياض تنبض عشقا وبأن الالاف في مدينتنا ... يعيشون على حب ويموتون على اخر ... وبأننا نحمل مدينتنا ذنب قسوة تصدر على الرغم منها " (٣٠) ، ففي قولها (تنبض عشقا) اشارة سيميائية الى انها مدينة حية إذ إن النبض للكائن الحي وفي كلمة (عشقا) اضافة حياة الى هذه المدينة الحية ، أما عبارة (على الرغم منها) فهي دلالة سيميائية على ان جمان تحاول ان تبرر قسوة مدينتها بكل الطرق وهذا ان دل على شيء يدل على حب جمان لهذه المدينة وانتمائها لها ، وثمة اشارات اخرى تدل على حب جمانة لوطنها منها انها احيانا تضع (شماغ) حول رقبتها كشال ، حيث ان للشماغ دلالات سيميائية على العروبة و الاصاله والانتماء فهي عند ارتدائها للشماغ تعطي دلالة الاعتزاز بعروبيتها لذلك نرى ان هذه الصورة استقرت عزيز الذي يكره الوطن ، اما الاشارة الاخرى الدالة على حبها لوطنها هي قولها " لا بأس ... اشتاق لصوت طفولة عربية " (٣١) ، فالاشتياق يعطي دلالة حبها لوطنها وافنقادها لما فيه من اصوات الاطفال العرب . اما الشوق والحنين فقد ظهر في الرواية لمرات عدة منها الشوق والحنين الى الاهل والى دفة العائلة والى الاعياد الصاخبة التي تضج بالفرح والعلاقات الاجتماعية ، فأعياد كندا باردة وفي البرود اشارة سيميائية الى قلة المشاعر بحسب وصف جمانة حيث كانت تصاب بوعكة غربية في كل عيد تكون فيه خارج البلاد لذلك نلحظ ان العيد في الغربة تحول بالنسبة لها من يوم للاحتفال الى يوم للحزن والكآبة والشوق لأعياد الوطن المميزة بدفء العائلة والاجتماعات والزيارات العائلية فهي في غربتها تفتقد كل شيء عربي الاصل حتى الآلة الموسيقية (العود) التي تمتاز بها البلاد العربية عن غيرها. أما المعارض لهذه الفكرة او الثيمة (حب الوطن) فهي العادات والتقاليد التي تحاول ابعادها عن حبيبها سواء من طرف اهل عبد العزيز (امه) التي لا ترغب ان يتزوج ابنها من فتاة تربطهما علاقة عاطفية قبل الزواج بحجة ان هذه الزيجات مصيرها الفشل و ام جمانة التي ترفض تصرفات عبد العزيز المخالفة لعاداتها وتقاليدها وتعتقد ان هذا الرجل لا يناسب ابنتها وان زواجها منه مصيره الفشل ، فنلاحظ ان المجتمع يحدد نسبة فشل العلاقة او نجاحها حتى قبل ان تبده ولديهم افتراض واحكام مسبقة عن الاحداث كلها فإبعاد المحبين عن بعضهم دون سبب واضح هي اعراف وقوانين اجتماعية لا تمت للدين او للقانون بصلة لكن ربما سلطتها في المجتمعات المحافظة تكون اعلى من سلطة الدين او الدولة ، ومن العادات الاجتماعية في الرياض هي ان البنت ترتدي الحجاب الزاما حتى ان كانت من عائلة ليست بمدينة او انهم بعيدين عن الدين لكن سلطة المجتمع اقوى من سلطة رب العائلة لذلك نلحظ ان جمانة في كندا سافرة وترتدي الحجاب قبيل هبوط الطائرة في السعودية ، و نرى ان عبد العزيز ينهاها للباس الحجاب بقوله " بنت ! .. أتتزلين لأرض المطار سافرة ؟ " (٣٢) ، هذا يعني ان هياتهم داخل الوطن خلاف هياتهم خارجه وهذا إن دل على شيء يدل على أن الوطن يقيد حرياتهم فهم لا يكونوا فيه على طبيعتهم وهذا بحد ذاته يولد توترا نفسيا عند الاشخاص ، فالشيء الطبيعي هو ان يكون لبس الشخصية وزياها وطريقتها في الحياة معبرة عن نفسها وذوقها ورؤاها لا تعبر عما يريده الآخرون منها ، فنلاحظ أن الشخصية تكون على نمطين هي



فالصورة الاولى تختلف تماما عن الصورة الثانية ، إذ انها في داخل الوطن لا تقود السيارة اضافة الى انها ليس باستطاعتها قيادة نفسها واتخاذ قراراتها بمفردها ، وكان في علامة التعجب المرافقة لندائها قصدية فهو متعجب من حالها وسؤاله لا يراد به جواب لانه يعرف تمام المعرفة انها ليست بإمكانها النزول الى ارض المطار سافرة ، فكان سؤاله استنكار لحالتها وتذكير لها .ومن القيود الاجتماعية الاخرى في هذا المجتمع هو ان تجبر الفتاة على محادثة الرجل (حبيبها) بصيغة المؤنث امام صديقاتها وان يجبر الرجل على محادثة المرأة (حبيبته)

بصيغة المذكر امام اصدقائه ، رغم معرفتهن من ثانيا الكلام انها تخاطب رجلا حين قالت له " انتي اللي تسوقين؟ " (٣٣) وهذه الجملة تقودنا الى معرفة قيد آخر لدى نساء مدينة الرياض هو منعهن من قيادة السيارة فهذه الجملة كانت كافية ودليل على ان المتكلم رجل لأنه لا توجد فتاة في الرياض باستطاعتها قيادة السيارة وهذا يخالف ما متعارف عليه في كندا حيث كانت جمانة وزميلاتها المبتعثات يقدن السيارة فيما يمنعن من ذلك في ارض الوطن . من ذلك نستنتج ان عنصر المكان - المتمثل بالوطن او الغربة - في الرواية ليس عنصرا طارئاً او محايدا بل احيانا يشكل سلطة اكبر من سلطة القانون ، فكثير من الامور نجدها متاحة وممكنة في القانون الا ان المكان وما يغلفه من العادات والتقاليد تقف عائقا بوجه الفرد ويمكن للمكان ايضا ان يكون " اداة للتعبير عن موقف الابطال من العالم " (٣٤) ، ومن الملاحظ ان الاحساس بالألفة والعداية تجاه المكان تختلف من شخصية الى اخرى ليس فقط تبعا للمكان بل لما تشعر به الشخصية ، فإذا لم تتسجم الشخصية مع المكان ولم تأتلف معه سمي مكانا معاديا (٣٥) ، وهذا ما نلاحظه في شخصية عبد العزيز تجاه وطنه ، فالوطن كما هو معروف مكان الة ومحبة وفيه سطر الابداء اروع صور الشوق والحنين الا ان عبد العزيز يعده مكانا معاديا للشخصية وهذا بخلاف بطلة الرواية (جمانة) التي تعده مكانا مألوا محببا الى نفسها على الرغم من ان الظروف والتقاليد الاجتماعية جرت على الاثنتين معا وربما بطبيعة الحال تكون العادات والتقاليد على الفتاة اقصى مما هي عليه من الذكور من ابناء نفس البلد الا انها تحب ذلك الوطن وتبكي شوقا اليه .

سيميائية الة (الكلمات)

ومن الالارات السيميائية الواضحة في لغة عبد العزيز والتي تدل على كرهه للوطن هو ما نلاحظه عندما يصف الوطن _ الرياض تحديدا_ بأنها مدينة الموت ، والكآبة ، والتعاسة ، والغبار ، والحزن ، والقيود ،وبأنها تكبل عنقه قبل يده ، فهذه جميعها اشارات تدل على عدم الرغبة في العيش في تلك المدينة ،وبأن هذه المدينة تعد مكانا معاديا للشخصية من وجهة نظر الشخصية ذاتها ، أما الغربة فنلاحظ أن الشخصية تشير اليها مرات عدة وذلك بعدها اكمال التعليم خارج ارض الوطن اي في بلاد الغربة (فرصة) وفي هذه الكلمة اشارة سيميائية الى حب العيش خارج الوطن ، ويصف الغربة بالتححرر من كل القيود ، إذ إن الابتعاد عن الوطن كان من اكبر احلامه وهذا يوضح لنا الفجوة الكبيرة في علاقته مع وطنه لذلك نرى انه يصفه بالبعيد عن القلب وليس بعد المسافة فقط " غادرت الرياض كارها لكل ذكرى تربطني فيها كرهتها اكثر بكثير مما كنت افعل طوال حياتي " (٣٦) ، فالهوة تزداد بين الشخصية والوطن يوما بعد اخر . أما الالارات السيميائية في لغة جمانة والتي تدل على حبها للوطن هي انها تصف عبد العزيز بالوجود لكونه ينكر فضل وطنه عليه ويحاول دائما الالاءة لوطنه ، و الالارة الثانية ولأكثر من مرة انها تلعن اليوم الذي جاءت به الى كندا وهذه اشارة على حبها للوطن وعدم رغبتها في تركه فإن نار الشوق الى اهلها اشد حرارة من نار حبها ، اما المفردات المصاحبة للغربة فهي وعكة غربة ، وهذا يحدث خلال الالاعات إذ إنها تصف اعياد كندا بالبرود لكونها خالية من المشاعر ، اذن الوطن هو المكان المألوف للشخصية والغربة مكان معادي لم تأتلف معه شخصية جمانة .ولابد من الالارة الى كثرة علامات الاستفهام والتعجب في النص وهذا يدل على الطاقة الانفعالية فحينما تعبر الشخصية عن حبها للوطن او كرهها له أو للغربة فيصاحب هذا الموضوع العاطفة والانفعال اكثر مما عليه في روايات اخرى ، إذ إن التعجب يكون فيه طاقة الحزن والدهشة أو الاستغراب او الاستنكار احيانا من حدث او قضية معينة وهذا ما نجده كثيرا في هاتين الروايتين التي هي عبارة عن صراع للشخصية بين الوطن والغربة و ايهما افضل من الاخرى ، والاستفهام هو طلب يراد به معرفة شيء مجهول ، فالمتلقي عندما يجهل قضية معينة ويطلب الرأي فيه او الالابة عنها عادة يكون في حيرة من امره ، إذ إن الذي يسأل غير الذي يوجه كلاما اخباريا يكون متمكنا من كلامه ولا حيرة له في شيء ، فالجمل الاستفهامية او التعجبية في كليهما طاقة انفعالية وهي تناسب موضوع الرواية .

الذاتة :

- للمكان دور بارز واثر واضح في ثنائية اثر عبد الله النشمي .
- المكان المألوف او المعادي يعتمد على احساس الشخصية به فالوطن الذي هو المنزل الكبير لكثير من الناس يكون مكانا مألوا ولآخرين يكون معادي بحسب ما عانته الشخصية من ظروف .
- العادات والتقاليد الاجتماعية وإن كانت تعد عارضا او معرقلا لحب جمانة لوطنها الا انها لا تشكل نسبة كبيرة إذ إن كفة حب الوطن هي الراجحة على كل المعرفلات الاخرى .
- التححرر من القيود والافتتاح كان هو العامل الالاساسي والاول في حب عبد العزيز للغربة في حين لم يستطع هذا العامل من جعل جمانة تحب الغربة رغم انها كانت تفقد هذه الحرية اكثر من عبد العزيز لكننا نلاحظها انها كانت دائما تلعن اليوم الذي جاءت به الى كندا .

- يرى عبد العزيز ان الرياض رمادية اللون فيما ترى جمانة انها وردية اللون وهذا يعني انه يراها ارض للموت والجمود بينما تراها ارض للحياة والحيوية والتجدد .
- للمكان اهمية كبيرة ليست في الرواية فحسب بل في حياتنا الواقعية فله سلطة تفوق سلطة العائلة او الدولة اذ ان هنالك قضايا محرمة اجتماعيا الا انها متاحة في القانون والدين رغم هذا يبقى الفرد متخوفا من فعلها .
- ثمة صراع داخلي تعيشه الشخصية في المدن المحافظة ويظل هذا الصراع فيها حتى وان غادرت هذه الاماكن ففي الوطن تفتقد الشخصية الى الحرية وفي الغربة وبعد اكتسابها الحرية تفتقد الالهل و الاحبة فهي في حالة فقد مستمر .
- مثلت جمانة الشخصية الوفية لوطنها فهي مادام قبلت بمنحة هذا الوطن (المنحة او البعثة الدراسية) فهي تقبل بشروطه ايضا وهذا على خلاف شخصية عبد العزيز الانتهازية التي تحصل على منحة الدراسة خارج الوطن وتكره ذلك الوطن اكثر فأكثر .
- البيئة الاولى والتنشئة هي الاساس في شخصية الانسان فحتى وان غادر هذا المكان لكن تبقى عاداته وتقاليده مترسخة فيه دون علم منه .

الهوامش

- ١- لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد ١٣ ، ص ٤٥١ ، مادة (وطن)
- ٢- ينظر : صورة الوطن في شعر حبيب الزبيدي ، ص ٧ ، و الوطن في الشعر السعودي المعاصر ، ص ١٢ ، والوطن في شعر ايليا ابو ماضي دراسة تحليلية سيميائية ، ص ١ .
- ٣- لسان العرب ، مادة غرب ، مجلد ١ ، ص ٦٣٨ - ٦٣٩ .
- ٤- ينظر : المعجم الادبي ، ص ١٨٦ .
- ٥- ينظر : قاموس مصطلحات النقد الادبي المعاصر ، سمير سعيد حجازي ، ص ١٢٠ ، والسرد - الانساق السيميائية والتخييل ص ٢٥
- ٦- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص ٢٥٣-٢٥٤ .
- ٧- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص ٢٥
- ٨- ينظر : حجم الخطابات في التراث يكشف حيوية البنى المعرفية ، ص ٦ .
- ٩- ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية ، ص ١٤٧ ، و المصطلح السرد ، ص ٢٠٧
- ١٠- ينظر : معجم السيميائيات ، ص ٢٣٠
- ١١- ينظر : السيمياء العامة وسيمياء الادب ، ص ١٥٥-١٥٧
- ١٢- فلتغري ، ص ١٠
- ١٣- فلتغفري ، ص ٣٥
- ١٤- احبيبتك اكثر مما ينبغي ، ص ١٧
- ١٥- فلتغفري ، ص ٥٨
- ١٦- فلتغفري ، ص ٥٨
- ١٧- احبيبتك اكثر مما ينبغي ، ص ٢٠٧
- ١٨- فلتغفري ، ص ١٣٨
- ١٩- فلتغفري ، ص ١٥٧
- ٢٠- فلتغفري ، ص ١٣٥
- ٢١- فلتغفري ، ص ١٥٧
- ٢٢- احبيبتك اكثر مما ينبغي ، ص ١٤٠
- ٢٣- احبيبتك اكثر مما ينبغي ، ص ٢٠٥
- ٢٤- فلتغفري ، ص ٣٤
- ٢٥- فلتغفري ، ص ٣٥

المصادر

- احببتك اكثر مما ينبغي ، اثر عبد الله النشمي ، الناشر : دار الفارابي ، بيروت - لبنان ، ط ٩ ، ٢٠١٢ م .
- بنية النص السردي من منظور النقد الادبي ، د. حميد لحمداني ، الناشر : المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- السرد - الانساق السيميائية والتخييل ، دراسة نقدية تطبيقية ، امجد مجدوب رشيد ، الناشر : مطبعة وراقه بلال ، المغرب ، ط ٢ ،
- السيميائية العامة وسيميائية الادب - من أجل تصور شامل ، عبد الواحد المرابط ، الناشر : الدار العربية للعلوم ناشرون ، ومنشورات الاختلاف ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، سعيد بنكراد ، الناشر : دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط ٣ ، ٢٠١٢ م .
- فلتغفري ، اثر عبد الله النشمي ، الناشر : دار الفارابي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٣ م .
- قاموس مصطلحات النقد الادبي المعاصر ، د. سمير سعيد حجازي ، الناشر : دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، الناشر : دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، د . ت .
- المصطلح السردية ، جيرالد برنس ، ترجمة : عابد خزندار ، الناشر : المجلس الاعلى للثقافة ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
- المعجم الادبي ، جبور عبد النور ، الناشر : دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م .
- معجم السيميائيات ، فيصل الاحمر ، الناشر : الدار العربية للعلوم ناشرون ، و منشورات الاختلاف ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- معجم مصطلحات نقد الرواية ، د . لطيف زيتوني ، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون ، ودار النهار للنشر ، لبنان ، ط ١ . ٢٠٠٢ م .

الرسائل والاطاريح

- صورة الوطن في شعر حبيب الزبيدي ، مجدولين علي المساعفة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الاوسط ،
- المكان في روايات تحسين كرمياني ، قصي جاسم احمد الجبوري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة آل البيت
- الوطن في شعر ايليا ابو ماضي دراسة تحليلية سيميائية ، عبد الكريم اروينة ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر - سبكرة ، الجمهورية الديمقراطية الشعبية ، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م .
- الوطن في الشعر السعودي المعاصر ، عطا الله بن مسفر بن مصلح الجعيد ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة ام القرى الدوريات :
- حجم الخطابات في التراث يكشف حيوية البنى المعرفية ، مقابلة مع الناقد هيثم سرحان ، صحيفة الوسط البحرينية ، ع ٢٥٨٢ ، اكتوبر ، ٢٠٠٩ م .